الفكر السياسي عند سلامة موسى ١٨٨٧-١٩٥٨

الدكتور

ليث احمد

علي

حياته ونشأته ومكوناته الفكرية:

ولدَ سلامة موسى في ٤ كانون الثاني (يناير) ١٨٨٧، في قرية قرب مدينة الزقازيق في مصر، كان والده موظفاً حكومياً من طائفة الأقباط الآرثوذكس، انتقل إلى القاهرة عام ١٩٠٣[١]، خلال وجوده في القاهرة تأثر بكتابات يعقوب صروف رئيس تحرير مجلة "المقتطف" التي كرسها لنشر العلوم الطبيعية والاجتماعية الحديثة بين عامة الشعب، فضلاً عن فرح انطون رئيس تحرير مجلة "الجامعة" الذي اقتبس الأفكار الفرنسية لاسيما الأفكار السياسية لمفكري القرن الثامن عشر[٢]، وبالتحديد فولتير (Voltaire) الذي دعا للحرية والتسامح، روسو (Rousseau) الذي أكد أن الطبيعة الإنسانية في أساسها جيدة ولايفسدها سوى ظلم المجتمعات والحكومات، وكذلك ديدرو (Diderot) الذي بيّن ضرورة توظيف العلم لخدمة المجتمع وتطوره[٣]، فضلاً عن أهمية أفكار شبلي شميل في الدعوة إلى حرية الفكر بشجاعة وجرأة وتفكيره وأسلوبه السديد[٤].

---

[١] محمود الشرقاوي، سلامة موسى المفكر والإنسان، سلسلة كتاب الهلال، العدد ٢٠٨، دار الهلال، القاهرة، ١٩٦٨، ص٢٨.

[2] Nadav Safran, Egypt in Search of Political Community, Harvard University Press, Massachusetts, 1961, P.58.

[٣] سلامة موسى، كتاب الثورات، دار المستقبل- القاهرة ومكتبة المعارف- بيروت، القاهرة، د.ت، ص٦٩-٧٢.

[٤] ـــــ، تربية سلامة موسى، دار المستقبل- القاهرة- ومكتبة المعارف- بيروت، القاهرة، د.ت، ص٢٤٠-٢٤١.

علاوة على تأثره بطروحات أحمد لطفي السيد رئيس حزب الأمة ورئيس تحرير جريدة "الجريدة" الذي دعا إلى مبدأ مصر للمصريين وعارض تبعيتها للدولة العثمانية ودعوته لاستخدام اللغة العامية المصرية بديلاً عن اللغة العربية[٥]، وأيضاً دعوة ولكوكس (Wilcoks) المستشرق البريطاني لاعتماد اللغة العامية المصرية عوضاً عن اللغة العربية[٦].

سافر إلى فرنسا عام ١٩٠٨ وسجل انطباعاته عن وجوده فيها قائلاً "قلما وجدت المجتمع الفرنسي واصطدمت به، ورأيت المرأة الفرنسية على حريتها وصراحتها وطلاقتها، شعرت أن أفقاً جديداً يتفتح أمامي... رأيت شعوباً حرة فيها الكلمة العليا التي تتضح في الانتخابات البرلمانية... لقد فتحت لي فرنسا الآفاق الأوروبية التي لاتزال تنشط حياتي بعكس حياتي قبل سفري"[٧] عاد إلى مصر عام ١٩٠٩ ثم توجه إلى بريطانيا في نفس العام، وخلال وجوده في لندن انضم للجمعية الفابية[٨] وتبنى آراءها الاشتراكية، وتوثقت علاقته الشخصية مع اثنين من أبرز زعمائها الأول برنارد شو (Bernard Show) الذي تعلم منه قوله "ان الرجل الفاضل هو ذلك الذي يعطي الدنيا أكثر مما أخذ

---

[٥] سلامة موسى، مختارات سلامة موسى، سلسلة المقالات العصرية (١)، المطبعة العصرية، القاهرة، ١٩٢٦، ص٢٧٩-٢٨٠.

[٦] نور الجندي، الفكر العربي المعاصر في معركة التغريب والتبعية الثقافية، مطبعة الرسالة، القاهرة، د.ت، ص٥٦٨.

[٧] السيد مين شلبي، الغرب في كتابات المفكرين المصريين، سلسلة كتاب الهلال، العدد ٥٩٠، دار الهلال، القاهرة، ٢٠٠٠، ص٦٣-٦٤.

[٨] تأسست في لندن في ٤ كانون الثاني (يناير) ١٨٨٤، آمنت بالوسائل التدريجية والديمقراطية والدستورية السلمية لتحقيق الاشتراكية ووجهت دعوتها لكافة طبقات المجتمع، دعت عضاءها لى الانضمام لى الأحزاب السياسية الاشتراكية والمجالس المحلية والاقليمية والمركزية لتحقيق هدافها وطالبت بامتلاك الأمة لكافة شكال الريع الاقتصادي الناتج عن استخدام الأرض ور س المال من خلال الجهاز الحكومي البريطاني الكفوء الذي بالإمكان الاستفادة منه للوصول لهذه الغاية، ينظر، م.بير، تاريخ الاشتراكية البريطانية، ج٢، ترجمة فؤاد اندراوس، دار الكاتب العربي، القاهرة، د.ت، ص٢٦٢-٢٧٢.

منها، بحيث تزيد ثروة أو علماً أو حكمة يوم وفاته على ماكانت يوم ميلاده[٩] إضافة إلى أن سلامة موسى رأى أن أدبه هو أدب الكفاح لتحسين أوضاع المجتمع وانه ناضل طيلة حياته لتحقيق الاشتراكية وسعى من خلال كافة مؤلفاته إلى تبسيط هذه النظرية وشرحها بأسلوبٍ سلس، والآخر هـ.ج. ويلز (H.G. Wells) الذي تلخص جهاده في الدعوة إلى استخدام العلم كعامل حاسم في تنظيم شؤون الحياة الإنسانية[١٠]، كما ساهمت آراء ماركس (Marx) الفيلسوف الألماني في صياغة رؤيته الفكرية إلا أن أثرها كان محدوداً في تلك المرحلة عليه[١١].

عاد إلى مصر عام ١٩١٣، ساهم في تشكيل الحزب الاشتراكي في القاهرة عام ١٩٢٠، إلا انه تم فصله منه عام ١٩٢٢ لرفضه تبني الحزب الأيديولوجية الشيوعية وانضمامه للدولية الثالثة (الكومنترن)[١٢])[١٣] أصدر مجلة "المجلة الجديدة" الشهرية عام ١٩٢٩ وأسس مع يعقوب صروف (المجمع المصري للثقافة العلمية) عام ١٩٣٠، هدف منهما إلى اعتماد المنهج العلمي وجعل الثقافة حاجة أساسية للشعب وذلك من خلال بحث كافة اختصاصات

---

[٩] سلامة موسى، طريق المجد للشباب، المطبعة العصرية، القاهرة، ١٩٤٩، ص١٠٨.

[١٠] ـــــ، حياتنا بعد الخمسين، دار المستقبل العربي-القاهرة ومكتبة المعارف- بيروت، القاهرة، د.ت، ص١٤٢-١٥١.

[11] Albert Hourani, Arabic Thought in the Liberal Age 1798-1939, Oxford University Press, Second Edition, London, 1967, P.339.

[١٢] عقد المؤتمر التأسيسي الأول لهذه المنظمة في موسكو في آذار (مارس) ١٩١٩، حضره لى جانب الحزب الشيوعي السوفيتي تسعة عشر ممثلاً لأجنحة يسارية لأحزاب اشتراكية من مختلف دول العالم، فأصبحت اتحاد للتنظيمات الشيوعية في العالم، دعا المؤتمر لى ثورة عالمية للطبقة العاملة لخوض الصراع النهائي ضد الر سمالية، ينظر: Sidney Harcave, Russia a history, J.B. Lippincott Company, Third Edition, Chicago, 1956, P.494.

[١٣] ماريوس كامل ديب، السياسة الحزبية في مصر: الوفد وخصومه ١٩١٩-١٩٣٩، مؤسسة الأبحاث العربية-بيروت- ودار البيادر-القاهرة، ١٩٨٧، ص٧٠، هامش رقم (٣٩٥)، ص٨٨.

المعرفة البشرية كالأدب والفلسفة والتاريخ والعلم بأسلوب بسيط وواضح ونشرها[١٤]، فضلاً عن إصداره مجلة "المصري" الأسبوعية عام ١٩٣٠ أيضاً التي انتقد فيها إسماعيل صدقي باشا رئيس الوزراء (١٩٣٠-١٩٣٣) لقيامه بإلغاء دستور ١٩٢٣ وإعداد دستور آخر انتقص فيه من الحريات الديمقراطية للشعب[١٥]، كما أسس جمعية (المصري للمصري) في نفس العام أيضاً والتي حثت المصريين على شراء منتجات بلادهم وبالتالي التقت من ناحية الهدف مع الدعوة التي أطلقها حزب الوفد في مقاطعة البضائع البريطانية[١٦]، كما إنها نجحت في حمل بنك مصر على افتتاح محل لبيع المصنوعات المصرية في شارع فؤاد الذي لم يكن فيه متجر مصري واحد[١٧]، وقد استلهم من إنشائها تجربة غاندي زعيم الحركة الوطنية في الهند[١٨].

إلا أن إسماعيل صدقي باشا استغل تركيبة المجمع العلمي للثقافة العلمية التي تشكلت في معظمها من الموظفين، فضغط على بعضهم فاتخذوا قراراً بطرد سلامة موسى منهُ[١٩]، كما سحب رخصة إصدار "المجلة الجديدة" كما حصل نفس الأمر لمجلة "المصري" بسبب نشرها صور ستة ملوك جرى خلعهم مما عُد انتقاداً للملك أحمد فؤاد (١٩١٧-١٩٣٦)[٢٠]، سمح عبد الفتاح يحيى باشا رئيس الوزراء (١٩٣٣-١٩٣٤) له بإعادة إصدار "المجلة الجديدة" عام ١٩٣٤[٢١]، بعد أن تم أخذ تعهد منه بعدم الدعوة للاشتراكية، إلا أنه ما أن عاود إصدارها حتى كتب مقالاً عن التفسير الماركسي للتاريخ[٢٢]، واستمر في

---

[١٤] غالي شكري، سلامة موسى و زمة الضمير العربي، دار الآفاق الجديدة، الطبعة الرابعة، بيروت، ١٩٨٣، ص٥٧.
[١٥] سلامة موسى، الصحافة حرفة ورسالة، مطبعة مصر، القاهرة، ١٩٥٨، ص٦٥-٦٧.
[١٦] ماريوس كامل ديب، المصدر السابق، ص١٧٩.
[١٧] سلامة موسى، الصحافة...، المصدر السابق، ص٦٨.
[١٨] غالي شكري، المصدر السابق، ص٥٩.
[١٩] سلامة موسى، تربية...، المصدر السابق، ص١٣٥.
[٢٠] سلامة موسى، انتصارات نسان، مؤسسة الخانجي-القاهرة ومكتبة المثنى-بغداد، القاهرة، ١٩٦٠، ص٣٤.
[٢١] محمود الشرقاوي، المصدر السابق، ص٤٠.
[٢٢] غالي شكري، المصدر السابق، ص٧٤.

إصدارها إلى عام ١٩٤٢ إذ صدر أمر عسكري بتعطيل صدورها[٢٣]، تم اعتقاله عام ١٩٤٦ بتهمة الدعوة للنظام الجمهوري والاشتراكية، كما اعتقل مجدداً عام ١٩٤٧ بتهمة إلقاء قنبلة في إحدى الدور السينمائية في القاهرة رغم انه كان قد بلغ من العمر ستين عاماً[٢٤]، عندما قامت ثورة ٢٣ تموز (يوليو) ١٩٥٢ عبَّر عن تأييده لها إذ عدّها استكمالاً لما قامت به ثورة أحمد عرابي عام ١٨٨٢ من جهة سعيها لتحقيق استقلال مصر والسودان[٢٥]، توفي إثر ارتفاع ضغط الدم في ٤ آب (أغسطس) ١٩٥٨ في القاهرة[٢٦].

---

[٢٣] محمود الشرقاوي، المصدر السابق، ص٤٠.
[٢٤] سلامة موسى، تربية...، ص٣٢٩، ٢٩٢.
[٢٥] ـــــ، كتاب الثورات، المصدر السابق، ص١٨٨.
[٢٦] منتديات ستوب، (سلامة موسى)، http://stop55.com/vb/67818.html-134K.

موقف سلامة موسى من المسألة الدينية:

عرف سلامة موسى "الدين بأنه عبارة عن الاعتقاد بقوة خارقة لنواميس الطبيعة يحترمها الإنسان ويعبدها... فالدين ضروري لكل أمة ولكل فرد، ولايمكن أن يعيش إنسان بلا دين، لأنه مادام قد شرع يفكر في الكون زماناً ومكاناً فقد شرع يفكر في الدين"[٢٧]، وأنه من اللازم أن يكون الدين دعامة أساسية للإنسان في الحياة إذ أنه يرتقي به ويكسبه الكرامة الإنسانية التي هو بحاجة لها كلما عانى من صعوبات الحياة[٢٨].

استخلص مما تقدم ذكره أن سلامة موسى اتخذ موقفاً إيجابياً من الأديان، مستلهماً أهميتها البالغة في الحياة الإنسانية بما تشكله من مجموعة قيم ومبادئ أخلاقية وروحية تخرج بالإنسان من إطار النظرة البشرية المحدودة إلى آفاق واسعة تسمو بروحه وسلوكه ومنهجه في الحياة بصيغ تتفاعل مع مفردات الحياة اليومية فتجدد عزيمته وإصراره وثباته في مواجهة كافة متطلباتها وتعقيداتها.

فضلاً عن أنه بيّن أن "من أغرب الظواهر الاجتماعية في تاريخ البشر أن الأديان جميعها دعت إلى الخير والبر والإخاء والحب ولكن البشر لم يعرفوا مع ذلك من الحقد والغضب ومن القتال والانتقام مثلما عرفوا من الفوارق الدينية، فإن تاريخ أوربا حافل بالحروب الدينية التي فتكت بالرجال والنساء والأطفال ودمرت البيوت وحطمت الدول. وكذلك الحال في الشرق. حتى ليقف القارئ لتاريخ هذه الحروب والخلافات المذهبية الدموية متسائلاً: كيف انقلبت دعوة الحب التي تدعوها جميع الأديان إلى دعوة الحقد"[٢٩]، وعلل سبب ذلك بسوء فهم العديد من الناس للأديان، واستشهد بما قاله محيي الدين بن عربي المتصوف الأندلسي في بعض أبياته الشعرية إذ قال[٣٠]:

---

[٢٧] سلامة موسى، اليوم والغد، المطبعة العصرية، القاهرة، ١٩٢٨، ص٦٥، ٢٥.
[٢٨] ـــــ، حياتنا...، المصدر السابق، ص٨٩.
[٢٩] ـــــ، طريق المجد...، المصدر السابق، ص٨٠.
[٣٠] سلامة موسى، طريق المجد...، ص٨٠-٨١.

قـد كنـت قبـل اليـوم أنكـر إذا لـم يكـن دينـي إلـى دينـه دانـي
صـــــــــــــــــاحبي فمرعـــى لغـــزلان وديـــر لرهبـــان
فقد صار قلبي قابلاً كل صورةٍ والـــواح تـــوراة ومصـــحف قـــرآنِ
وبيـت لأوثـان وكعبـة طـائفٍ ركائبـــه، فالحـــب دينـــي وإيمـــاني
أدين بدين الحب، أنـى توجهت

اعتقـد أن سـلامة موسـى اسـتوعب بإدراكـه ووعيـه المتميـز إنسـانية الأديـان وعالميتهـا وعظمـة مادعـت اليـه وتأكيـدها علـى القيم الإنسـانية الرفيعـة التي تزيد من ارتباط البشر ضمن المجتمع الإنساني بمعناه الأوسع، ومـاآل إليه حـال البشـر جـراء نقـص الإدراك للمعـاني السـامية لهـا الـذي أدى بالتـالي إلـى الكثير من البؤس والشقاء للبشر لأنهم لم يتمثلوا هذه المعاني منهجاً وسلوكاً تطبيقياً في الحياة، فضلاً عن إن استشهاده بآراء بن عربي المتصوف الأندلسي في الدعوة إلى حب البشر ونبذ التعصب بين الأديان مثل سعة في الرؤية لديه وخروجـه مـن إطـار الإنتمـاء القبطـي المحـدود إلـى المعـاني الروحيـة الإنسـانية الشاملة.

كما أكد أن سكان بلاد الشام ومصر في القرن السابع الميلادي عانوا من تفشي الخلافات المذهبية وسوء القوى الحاكمة فما أن جاءت جيوش العرب المسلمين حتى استقبلوها وأن المسلمين اقتصروا على أخذ الجزية وتركوا لهم إدارة شؤونهم الداخلية كما ان قواتهم عسكرت خارج المدن بعيداً عن السكان فكان ذلك عاملاً إضافياً في تفضيل هؤلاء السكان لهم على الروم وغيرهم، كما أشار إلى أن الإسلام تميز عن كافة الأديان الأخرى بعدم وجود طبقة من الكهنة سوى الخليفة[٣١].

[١] سلامة موسى، حرية الفكر و بطالها في التاريخ، دار الهلال، القاهرة، ١٩٢٧، ص٦١.

علاوةً على أنه أشار إلى أن "الخليفة والبابا كلاهما كان له شأن في حرية الفكر، الأول في الشرق والثاني في الغرب. وكلاهما كان قد اعتمد على سلطة إلهية ليس للبشر سلطان عليها... والخليفة هو مصدر السلطات الدينية والمدنية لجميع الأمم الإسلامية. وهو من حيث الانتخاب يشبه البابا. فكلاهما ينتخب. والبيعة هي الشكل الذي عرفه المسلمون لتقرير الانتخاب ويقابلها عند البابا القرعة. فالبابا كان ولايزال ينتخبه الكرادلة أي كبار الكهنة بالقرعة. أما الخليفة فكان مدة الخلفاء الراشدين ينتخب بالبيعة العلنية تنتخبهُ الأمة بأجمعها. ولكن في حين أن البابا لايزال ينتخب للآن فإن الخلفاء منذ ابتداء الدولة الأموية إلى آخر الدولة العباسية والعثمانية كانوا يتوارثون الخلافة. وقد كانت الخلافة مدة الخلفاء الراشدين ابي بكر وعمر وعثمان وعلي يغلب على خلفائها الزهد والورع"[٣٢]، وأشار سافران (Safran) الباحث الأمريكي إلى أن وظيفة الخليفة كما بيّنها الفقهاء المسلمين حماية الدين الإسلامي، إدارة شؤون الدولة، المحافظة على النظام العام، نشر الدين الإسلامي، ضمن تطبيق الشريعة الإسلامية، إضافة إلى أن الخليفة هو نائب عن النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، إلا أن سلطته لم تكن مطلقة وبلا حدود بالمعنى الحديث للمصطلح، كما أنه ليس لديه سلطة تشريعية بل أنه يجب أن يلتزم بأحكام الشريعة مثل أي مسلم آخر، وأن طريقة توليه السلطة هي من خلال البيعة التي هي عبارة عن تعاقد اجتماعي بينه وبين ممثلي المجتمع يلتزم هو فيه بتطبيق الشريعة، بينما يلتزمون هم بإطاعته طالما انه أوفى بهذا الالتزام[٣٣].

اتفق مع سافران في تحليله لمفهوم وواجبات الخليفة في إطار النظام السياسي للإسلام، ولا أجد مبرراً لسلامة موسى في نظرته للخليفة والبابا ضمن سياق واحد، فالخليفة مقيد بالالتزام بالشريعة الإسلامية، وهو ليس بمستوى أعلى من باقي المسلمين، بينما البابا استند فعلياً إلى مبدأ السلطة الإلهية التي جعلت

---

[٣٢] المصدر نفسه، ص٦٤.

[33] Nadav Safran, Op.Cit, P.18-19.

منـه صـاحب القـول الفصـل فـي المسـائل الدينيـة وحتـى السياسـية فـي بعـض المراحل التاريخية لاسيما القرون الوسطى التي برز فيها الأثر السياسي الفعّال لهذه المؤسسة الدينية التي أصبحت لها إقطاعيات في مختلف أنحاء أوربا، كما انه من غير الملائم المقارنة بين انتخاب الخليفة من خلال البيعة العلنية العامة وبين انتخاب البابا الذي كان مقصوراً على مجموعة محدودة من رجال الدين من درجة الكاردينال، أما انتقال الخلافة من نظام الشورى إلى نظام الوراثة فهو لايعبر عن أسس ومبادئ الإسلام الحنيف.

وعدّ المسيحية ديانة دعت للأعمال الصالحة وعدم التعصب ومسامحة الآخرين إن اخطأوا، لذلك كانت منهجاً للطبقات المحرومة لأن هذه الطبقات تقدر هذه الفضائل الرفيعة بشكل كبير جداً، فضلاً عن ان هذه الطبقات شكلت ٩٠% من سكان الامبراطورية الرومانية لذلك لاقت لديهم قبولاً كبيراً، إلا انه ميّز بين الدين المسيحي ورجال الدين وبين المسيحية والكنيسة، وفسّر ظهور المذهب البروتستانتي بتجاوزات البابوية وطمعها حتى كان رجال الدين يبيعون صكوك الغفران للناس عن آثامهم، علاوةً على سأمهم من الأعمال الظالمة التي قامت بها محاكم التفتيش[٣٤].

امتدح سلامة موسى جمال الدين الأفغاني والشيخ محمد عبده وعدهما من المجددين في الدين الإسلامي والسياسة، إذ أن الأول سعى إلى النهوض بالأمم الإسلامية من خلال التوفيق بين الدين والعلم، أما الآخر فإنه سعى إلى التوفيق بين الدين والعلم أيضاً إضافة إلى دعوته لسن دستور في مصر[٣٥].

وآمن بالعلمانية التي عدّها نزعة أوربية فصلت نظام التعليم في المدارس وسياسات الحكومات عن الدين[٣٦]، إلا انه أكد انه ليست هناك نهضة إنسانية كثورة على الاستبداد أو نشر المبادئ التجديدية أو الدعوة إلى الإخاء والمساواة بين البشر وتوفير الحرية دون تأثير ديني فيها، ولذلك اتحد الأقباط

---

[٣٤] غالي شكري، المصدر السابق، ص٢١٧-٢١٩.
[٣٥] سلامة موسى، مختارات...، المصدر السابق، ص٢٧٨-٢٧٩.
[٣٦] ـــــ، اليوم...، المصدر السابق، ص١٢.

مع المسلمين خلال ثورة ١٩١٩ وفشلت كافة محاولات التفرقة، كذلك رفض الأقباط اقتراح توفيق دوس باشا في لجنة إعداد الدستور عام ١٩٢٢ لضمان حقوق الأقباط في مجلس النواب بتعيين العدد الذي يمثلهم إذا لم يتحقق ذلك عن طريق الانتخابات، إذ طالبوا بالاقتصار على الانتخاب، ومثل ذلك أحد النتائج البارزة لثورة ١٩١٩[٣٧]، وعندما صدر دستور ١٩٢٣ ونص على أن الإسلام هو الدين الرسمي للدولة أوضح سلامة موسى موقفه منهُ بأنه كمصري من الواجب عليه الدفاع عن الإسلام لأنه دين وطنه[٣٨]، فضلاً عن انه ساهم بفاعلية كعضو في جمعية الشبان المسيحية في القاهرة التي لم تقتصر في عضويتها على الأقباط بل ضمت ٣٠٠-٤٠٠ عضو مسلم، وألقى فيها العديد من المحاضرات لمعالجة مشاكل الشباب وتثقيفهم وفق منهج علمي حضاري[٣٩]، ورغم دعوته للأقباط في عام ١٩٤٧ إلى إنشاء وكالة خاصة لتوظيف شبابهم[٤٠]، إلا انه أرجع مشاكل الأقباط السياسية إلى أزمة الديمقراطية التي عانت منها مصر طوال تاريخها[٤١]، وأثر قيام حرب ١٩٤٨ وتعالي دعوات الجهاد التي أطلقها رجال الدين المسلمين، دعا كافة المصريين ومن بينهم الأقباط إلى أداء واجبهم وأدان الخطط الصهيونية في فلسطين[٤٢].

يمكن القول أن سلامة موسى عبّر عن فهم خاص للعلمانية الأوربية فهو لم يتقيد بدعوتها إلى فصل الدين عن الدولة بشكل حاسم ونهائي، بل أكد على أهمية الدين في الجانب السياسي كعامل مؤثر في كل حركات الإصلاح السياسي ومواجهة قوى الاستبداد لأن الدين في أصله وجوهره دعوة لمواجهة الظلم، وهذا الفهم الديني العالي لديه دفعه إلى أن يكون إيجابياً في التعاطي مع

---

[٣٧] ينظر: ـــــ، تربية...، المصدر السابق، ص١٦٠، ١٦٢، ٢٦٨.

[38] B.L. Carter, The Copts in Egyptian Politics 1918-1952, The American University in Cairo Press, Cairo, 1988, P.131.

[٣٩] سلامة موسى، تربية...، المصدر السابق، ص٢١٠-٢١٤.

[40] B.L. Carter, Op.Cit, P.49.

[٤١] غالي شكري، المصدر السابق، ص٦٥.

[42] B.L. Carter, Op.Cit, P.109.

الشأن الديني في مصر لاسيما في أحد أهم مفاصله ألا وهو العلاقة بين المسلمين والأقباط، فعمل على ترسيخها بشكل عملي وتطبيقي.

موقف سلامة موسى من الاشتراكية:

أول موقف عبّر فيه سلامة موسى عن رؤيته للاشتراكية تمثل في مقالته (برنارد شو وروايتاه) الذي نشره في مجلة "المقتطف" في القاهرة في ١ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٠٩ انتقد فيه إيمان برنارد شو بالفوضوية[٤٣] مع إيمانه بالاشتراكية لأنه رأى أنهما متناقضتان بشكل واضح فهدف الاشتراكية وضع قيود على الحرية التجارية وإيقاف المنافسة الاقتصادية في حين أن الفوضوية تدعو إلى الفوضى في النظام الاجتماعي بقيمه وثوابته الأخلاقية الراسخة[٤٤].

نستنتج مما تقدم أن سلامة موسى استمر في منهجه الفكري السياسي المستقل، فبالرغم من علاقته الوطيدة مع برنارد شو أحد أبرز منظري الاشتراكية الفابية في بريطانيا، إلا أن ذلك لم يكن عائقاً أمامه في تسجيل اختلافه معه.

ونشر أول كتاب له بعنوان (مقدمة السبرمان) في عام ١٩١٠ عرف فيه الاشتراكية بأنها امتلاك الدولة لكافة المعامل والأراضي وأن يصبح كافة أفراد الشعب عمالاً لديها فتدفع لكلٍ منهم حسب مستوى كفاءته، كما انها لاتعني المساواة بين الناس بل المساواة في الفرص الممنوحة لهم لكي يظهروا

---

[٣] أستندت مبادئهالى عدم الحاجة للدولة كونها تمثل داة استبداد ضد الشعب، لغاء الملكية الخاصة لأنها عامل فساد للمجتمع ذ تولد الروح الأنانية عند البشر، رغم انها قرت بأهمية النظام في المجتمع لا نه يتحقق عن طريق الفعل الإرادي والطوعي وليس عن طريق الشرطة والتخويف من السجونما ان حصلت جريمة و مشكلة فإن المجتمع الفوضوي يتحرك فوراً لحلها و التعامل مع المسيء و المجرم وليس هناك مبرر لإقامة نظام دائمي لأداء هذه الواجبات، ينظر، فايز صالح بو جابر، الفكر السياسي الحديث، عمان، ١٩٨٥، ص٢٥١.

[٤٤] ينظر، سلامة موسى، (برنارد شو وروايتاه)، "المقتطف" (مجلة)، القاهرة، ج٦، المجلد الخامس والثلاثون، ١ كانون الأول (ديسمبر)، ١٩٠٩، ص١١٧٩.

قدراتهم ومن خلال ذلك يتم تعيين كل فرد في العمل الملائم له، وان القضاء والبريد والسكك الحديدية والشرطة وغيرها من الخدمات التي قدمتها الحكومة المصرية لمنفعة الشعب هي من الاشتراكية[٤٥]، ونشر أول كتاب عن الاشتراكية في مصر بعنوان (الاشتراكية) عام ١٩١٣ جاء فيه أن "النظام الاشتراكي يقتضي إلغاء الملكية الفردية، بمعنى أنه لايجوز للفرد أن يمتلك ارضاً أو معملاً أو منجماً أو أي ثروة تحتاج في استغلالها إلى عامل أو عمال، وعليه يجوز للفرد أن يمتلك أدوات بيته وملابسه وأمواله طالما كان لايستغلها بواسطة عمال. بل ربما سمح له بامتلاك مسكنه أيضاً لأن هذا الملك لايضر الآخرين"[٤٦].

أما كيفية تحقيق الاشتراكية في مصر فقد رأى انها "تكون بتربية الجمهور على الحكم النيابي الديمقراطي أولاً ثم نشر المبادئ الاشتراكية وادخال بعضها بالتدريج في جسم الحكومة حتى تتشرب بها الأمة... فبدلاً من أن يحكم القرية عمدة ليس لأهل القرية رأي في تعيينه، يحكمها مجلس منتخب من سكان القرية الراشدين ذكوراً أو إناثاً"[٤٧]، أما هدف الاشتراكي المصري وغايته "ان تتدرج حكومتنا من امتلاك السكك الحديدية والمعامل والمناجم، وتديرها، كما تدير هذه السكك الآن. يطلب الاشتراكيون ذلك من سبيل التدريج الوئيد لا الطفرة السريعة. وكل خطوة نخطوها نحو الإصلاح الاشتراكي تكون مصحوبة دائماً، بل ومتوقفة، على درجة التنور السارية في الأمة"[٤٨].

يتضح لي مما ورد آنفاً ملامح الاشتراكية الفابية وانعكاساتها على الفكر السياسي لسلامة موسى، والاشتراكية الفابية البريطانية نشأت ضمن ظروف وخصائص معينة إذ أنها نشأت في بلد امتاز بعراقة مؤسساته الدستورية الديمقراطية وبلد الثورة الصناعية ومؤسساتها، وازدهار الفكر وتقدم العلوم

---

[٤٥] ينظر، سلامة موسى، مقدمة السبرمان، مطبعة الهلال، القاهرة، ١٩١٠، ص١٩-٢٠.
[٤٦] ـــــ، الاشتراكية، دار سلامة موسى للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، القاهرة، ١٩٦٢، ص١٩.
[٤٧] المصدر نفسه، ص٢٠.
[٤٨] المصدر نفسه، ص٢٢.

والمعارف، أما في مصر فمن المعروف أنها كانت ترزح تحت نير الاحتلال البريطاني، إضافة إلى هيمنة النظام السياسي غير الديمقراطي على شؤون البلاد، فضلاً عن تدهور النظام التعليمي وازدياد نسبة الأمية بشكل كبير جداً، وكل هذه العوامل تعيق تحقيق التحول الاشتراكي الديمقراطي الذي نادى به سلامة موسى، كما انه أغفل أهمية دور الطبقة العاملة فهدفه تحقيق الإصلاح للمجتمع ككل، فتحقيق هذهِ التحولات كان يستلزم اتجاهاً ثورياً يعمل على إحداث تغيير جذري في مفردات الواقع السياسي المصري وليس من خلال وسائل سياسية تستلزم وقتاً وجهداً فقط وقد لاتصل في نهاية المطاف إلى تحقيق الهدف المنشود لعدم توفر البيئة الملائمة لها.

ساهم سلامة موسى بشكل أساسي في تشكيل الحزب الاشتراكي المصري عام ١٩٢٠، إلا ان هذا الحزب ضم تيارات اشتراكية أخرى وتحديداً اشتراكية الدولية الثانية ممثلة في محمد عبد الله عنان، الماركسية ممثلة في محمود حسني العرابي، الفوضوية ممثلة بجوزيف روزنثال (Joseph Rosenthal)، وكان سلامة موسى معارضاً للبلشفية الروسية التي عدّها فشلت بشكل كامل ونشرت الخراب والدمار، كما أن من أسباب اعتراضه على البلشفية أنها سعت لتحقيق أهدافها عن طريق الثورة، في حين أن تحقيق الاشتراكية يجب أن يكون من خلال وسائل تدريجية، فضلاً عن قناعته بضرورة اتباع الحزب لمبادئ برنارد شو وويلز أكثر من اتباع مبادئ ماركس وانجلز (Engels)، وان يكون شعار الحزب التطور والنشوء لا الثورة والانقلاب، واتهم الحكم الشيوعي في روسيا بالظلم كما كان الحكم القيصري قبله، واستدل على ذلك بقرار إحدى المحاكم البلشفية بمصادرة كتب تولستوي الروائي الروسي وإحراقها على الرغم من انه كان نصيراً للعمال في كافة كتاباته[٤٩].

---

[٤٩] رفعت السعيد، تاريخ الحركة الاشتراكية في مصر ١٩٠٠-١٩٢٥، دار الطليعة، الطبعة الرابعة، بيروت، ١٩٨٠، ص٧٦-٧٩.

خلال عام ١٩٢٥ انكب سلامة موسى على دراسة الاشتراكية العلمية أي الماركسية، ورأى أنها ذات أهمية كبيرة في تحليل السياسة الدولية، وفهم التطورات التاريخية، وعدّ ان ماركس صاحب الفضل في جعل الاقتصاد علم[٥٠].

بإمكاني القول أن الماركسية قدمت أهمية كبيرة لعلم السياسة والتاريخ من خلال تأكيدها على العوامل الاقتصادية التي عدّت انها المحرك لتطور التاريخ الإنساني بمراحله المختلفة، إلا أنها أغفلت من جانب آخر أهمية العوامل الدينية والاجتماعية والبيئية، أما كون ماركس هو من أوجد قواعد علم الاقتصاد فلا أتفق مع هذا الطرح لأن أسس علم الاقتصاد بمفهومه الحديث ظهرت منذ القرن السابع عشر في بريطانيا من خلال كتابات اندرو يارنتون (Andrew Yarranton)، آدم سمث (Adam Smith)، مالثوس (Malthus) وديفيد ريكاردو (David Ricardo)[٥١] إلا أنه في المحصلة النهائية فإن موقف سلامة موسى من الماركسية مثل نقطة تحول بارزة في رؤيته الفكرية.

وذكر أن "الاشتراكي المصري يجد نفسه في صف واحد مع الوفد. لأن الوفدية هي في صميمها الدعوة إلى الاستقلال. ولايمكن اشتراكياً ان يفكر في أي برنامج اشتراكي، ما لم يكن الاستقلال محققاً ناجزاً.... والاشتراكية والاستعمار ضدان، لا مصالحة بينهما. فالأولى تعاون ومساواة وعدل، والثاني استغلال وامتياز واحتكار"[٥٢]، والاستعمار والرجعية المصرية هما أعداء

---

[٥٠] سلامة موسى، تربية...، المصدر السابق، ص١٢٦.

[٥١] للمزيد من التفاصيل، ينظر،

John Somerville (and others), Encyclopedia Americana, Vol.9, Americana Corporation, 1979 Edition, Chicago, 1979, p.605-607.

[٥٢] سلامة موسى، تربية...، المصدر السابق، ص٢٠٣-٢٠٤.

الإصلاح والتطور في مصر، والإصلاح يعني تكوين صناعة حديثة وتبني ثقافة علمية[٥٣].

اتخذ سلامة موسى موقفاً إيجابياً من حزب الوفد ينسجم مع تأثير هذا الحزب الأساسي والحيوي في واقع الحياة السياسية المصرية كرمز قيادي للحركة الوطنية، وكونه الحزب الوحيد الذي حاز على دعم الأغلبية والذي ترجم بشكل واقعي من خلال فوزه في كافة الانتخابات النيابية ماعدا الحالات التي لجأت فيها السلطات الحاكمة إلى تغيير نتائج الانتخابات بشكل غير قانوني، إضافة إلى إقصائه عدة مرات عن الحكومة، كما تجدر ملاحظة أن سلامة موسى حدد بوضوح أعداء النهوض الوطني في مصر لاسيما الاستعمار البريطاني والقوى الرجعية المصرية المتحالفة معه.

وشجب في كانون الأول (ديسمبر) ١٩٤٧ منح امتيازات استخراج النفط في منطقة رأس غارب على البحر الأحمر ومنطقة رأس مطامر في شبه جزيرة سيناء لشركات بريطانية وطالب بإلغاء هذه الامتيازات لأن هذا النفط هو ملك الشعب المصري، ودعا مجلس النواب المصري إلى سن قانون لمنع منح امتيازات أخرى للشركات البريطانية والأمريكية لاستخراج النفط أو أي معدن آخر[٥٤].

وبعد قيام ثورة ٢٣ تموز (يوليو) ١٩٥٢ أكد أن اتجاهه الاشتراكي هو امتداد لما ذكره عن الاشتراكية في كتابه الأول (مقدمة السبرمان) عندما كان عضواً في الجمعية الفابية الاشتراكية البريطانية[٥٥].

وامتدح موقف الاتحاد السوفيتي المؤيد لمصر خلال العدوان الثلاثي في عام ١٩٥٦، وأيضاً الاتفاقية المصرية–السوفيتية لإقامة المصانع في مصر عام ١٩٥٧[٥٦].

---

(53) Albert Hourani, Op.Cit, P.339.

(٥٤) سلامة موسى، انتصارات...، المصدر السابق، ص٧٤-٧٧.

(٥٥) سلامة موسى، تربية...، المصدر السابق، ص٣٣٩.

(٥٦) المصدر نفسه، ص٣١١-٣١٣.

اعتقد أن التبدل في موقف سلامة موسى من الاتحاد السوفيتي سببه تحقق العديد من النجاحات في تجربته السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وبروزه كقوة دولية مؤثرة بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية عام ١٩٤٥ كقطب دولي رئيسي في السياسة العالمية، ودعمه للحركات الاشتراكية والتقدمية المناهضة لقوى الاستعمار الغربي في العديد من دول العالم الثالث ومساعدته لهذه الدول في مشاريعها التنموية والنهضوية في مختلف جوانبها السياسية والاقتصادية والعسكرية والاجتماعية.